على هامش كليلة ودمنة

ذكرياتي !!

بقلم : الاستاذ عبد القادر محمود

الى اللائي يعشقن بأنوثتهن في هجير الحياة

قال الملك دبشليم لبيدبا رعاك الله ايها الفيلسوف العظيم قد علمتني مالم احط به علما واشهدتني في قصة البطة والفراشة ان عجز الطبيعة في البطة هو الذي حال بينها وبين التحليق حتى تسبق الفراشة ذلك مثل لعمري جليل خطير ولكن قل لي بربك ايها الفيلسوف العظيم ماالفرق بين الامكان والمستحيل في محيط الحياة الدنيا مادمنا نتحدث عن عجز الطبيعة في كائنات دون اخرى ولا سيما كائنات إناث المخلوقات ؟ .. واتكأ بيد باعلى ساعده الايمن ونظر الى الملك دبشليم نظرة طويلة عميقة جمعت شتات مشاعره ثم قال يأيها الملك الجليل اعلم ان طبائع الأشياء لاتقبل الجدل العريض لانه ليس في الامكان ابدع مما كان والنور في الكهوف التي يتلصص عليها إشعاع ضوء الشمس يزداد معرفة بنفسه ولو تكاثفت عليه جيوش الظلام ومنطق الضعف يأيها الملك ليس دليلا على الضعف نفسه لان القوة شيء لم يوجد الاحين تكاثف الضعاف على ضعفهم ذلك الضعف الذي ارتكز على اساسه المتوحد المنطلق الى السلطان واحقاق الحق وماانشأت القوانين والدساتير الامن تنازل بعض الاقوياء عن بعض قوتهم ذلك البعض الذي تركزت عليه انسجة التراث والحقوق والواجبات ولكن الغرور الانساني هو الذي يحجب الواقع الجميل عن العيون المخدوعة بسراب الاوهام وخداع الزخارف وان في قصة الديكة والدجاج لدليلا عجبا قال الملك دبشليم وما القصة حدثني بربك ايها الفيلسوف العظيم قال بيدبا زعموا انه كان في سهل الجزيرة الذهبية خلف المشارف الارجوانية من الزهور الجبلية سهل مملكة الدجاج والديكة وكان السهل ممرعا خصيبا ريان عشبيا يهطل الغمام عليه فينبت زرعه الاخضر ويسكن فيه هدوء النعمة السابغة في انفساح الجزيرة الغناء وكانت الجزيرة خالية الا من النعيم الذي يسبح في ظلاله شعب الديكة والدجاج والطيور التي صبغها الله بصبغة السماء وكان ملك الديكة صاحب العرف الاحمر الجميل والتاج المثرثب البديع فخورا بنفسه الى حد كبير يستحق الحمد والثناء لانه كان عطوفا على شعبه بارا به حذبا عليه ، وحين كان الفجر يرسل اول خيوطه البيضاء كان هو يرتل على امواجها تراتيله السمحة الخفاقه بحمده للسماء ورب السماء والديكة والجزيرة .

... وطاف طائف من ربك فانقطع المطر واصاب الجزيرة نقص في الثمرات ، وعادها الجدب الممرع بالشوك والبلاء فوقف زعيم الديكة قائلا ان الامر ياإخوتي جد خطير وان البدلات شر مستطير فأجمعوا امركم فما فاز من تشتت وجزع ولا ربح من خاف وفزع !!! وانكم لتعلمون ياإخوتي اوبنائي ان الجزيرة قد أمحلت ، وان ماجمعناه من غذاء لن يكفينا على مرارة الانتظار فخير لنا ان نهاجر منها بما معنا من طعام ونقيم الى ارض اخرى حتى اذا ساقنا المهبط رجعنا اليه كما كنا في امان وسلام ... وكان على البعد دجاجة خدلجة صاحت به : مابالنا نتسرع الى الهجرة ان متاعنا ثقيل وان فرقة الديار اصعب من فراق الروح وبكت بدموعها قبل ان تبكي بكلامها فلم يعبأ بها الملك الذي جمع شتات قومه واذن بالهجرة والرحيل ولم يكد الفجر يرسل اول اشعاعاته حتى كانت امة الديكة والدجاج تودع آخر اشواك الجزيرة التي غضبت عليها السماء بعد اجيال من النعماء وسكت بيدبا وهو يضرب بجمع عيناه يسراه ثم قال وهو يشد اصابعه : وهبطت على البيداء ريح صرصر عاتية قهرت الديكة فانزلتهم بطون الشعاب ومناور البيد فنفد الزاد بعد ليال حتى اذا سكنت الآفاق المضطربة وقر في الصحراء الصمت الممتد الى ماوراء المجهول اذن الملك بالخروج فخرج الجمع بين مضعضع الجسم مهيض الجناح وبين اعمى الطرف شليل الخطوات حتى اذا راوا من بعد اشباح رسوم واطلال قال الملك ياابناء مملكتي انكم لتعلمون انا صبرنا كل الصبر وان عاقبة الصبر لحميدة في مصير الكفاح ... انظروا معي انني ارى بناظري الامن بعد طول اغتراب هذه اطلال

بيوت لاشك قد مجرها سأكتوها . . . ان قلبي يحدثني بذلك واني لأرى رتماش ظلال شجراء لاشك انها لإشجار ذات اثمار فهبوا مني اليها واجمعوا عزمكم واصبروا على ماصابني واصابكم في فاذ اكبادكم . وكانت هذه الرسوم مأوى الثعالب وكان ملك الثعالب قد رأى مملكة الدجاج وهي تئن خلف صرير الظلام فسبقها في جنحه الى مخبئه وتوارى في جحره المطمئن وحين اهدل ملك الديكة هجم عليه الثعلب فاقتنصه ودخل به فتشتت شمل الدجاج في رحبة البيداء ولكن بعد ان قرت بطون الثعالب من طعام الديكة والدجاج وكانت الدجاجة الخدلجة قدهربت مع الهاربين فلم يلحقها ثعلب واعلب الظن انه استكثرها على بطنه بعد شبع فتركها ليوم عاجل عصيب . . وحين هربت الدجاجة الخدلجة في جنح الليل وسلمت في حمى مابقي من الدجاج والديكة سمعت آذانها في ترجيعة الليل صوت اسد يجئر من فورة الطعام وسطوة السلطان فاقبلت نحوه وسجدت عنده وبكت قبل ان تقول ياسيدي ياايها الملك العظيم لعلك سمعت فيما سمعت من نبأ الليل ومطلعه الإسود نبأ الهول الذي اصابنا واصاب قومنا من امة الثعالب فأدركنا برحمتك وعدلك واحكم بيننا فأنت خير الحاكمين فقال لها اختبئي هنا انت واخوتك خلف اسوادي وحتى الصباح تعالى مع خيرة قومك من الديكة وسارسل احد اشبالي الى امة الثعالب لتختار من ينوب عنها وسنحتكم غداً في ضوء الشمس قالى الغد . وكانت امة الديكة والدجاج قد فقدت معظم ديوكها الاشداء في بطن الصحراء من شدائد المعمعة وكثرة الجهد النوعي الذي أضعفها عند ماحزب الامر حين رجعت الدجاجة الخدلجة اعتراها فرح كبير حين وجدت نقص الذكور عن الاناث وصاحت على اخوتها تعالين تعالين مادام الديكة قد قل عددهم فلنضع أنفسنا في حكم الاغلبية التي ستقف غدا في التحكيم امام الثعالب في محكمة الاسد ولا شك ان حكم الاغلبية سيكون موضع تقدير الاسد وامة الثعالب وانكن لتعلمن ياأخوتي الجميلات ان امة الثعالب لاتحب الديوك مثل حبها لنا نحن الاناث الخدلجات ، ولا تحسبن ان الديوك كانوا يدافعون عنا لا ؛ إنهم كانوا يدافعون عن مطامعهم فينا واغراضهم منا ولو تركوا لنا ولأنفسهم مهمة الدفاع والالتجاء الى ملك الثعالب في مبعداً امرنا لما حدث ما كان وما نحن فيه الآن فاننا بمكاننا الحيوي خير منهم ونحن الآن كثرة . . واصبح الصباح فاختلفن وغلب ضجيج الاناث رزانة الذكور فاعتذر الاسد عن رئاسة لجنة التحكيم حتى ينتهي الخلاف ، وحين أتى الليل يتسلل بمشاعره الرهيبة تلصص ثعلب غريب الشكل واللون على مشارف الدجاج متقمصا جلد أسد صغير أشبه بشبل الملك ووقف بين الدجاجات وما بقي من الديكة ، وكان هذا الثعلب المستأسد بجيدا للغة الحيوان ورطانه الانسان في سالف الازمان وحديث الآن والاوان وحين انس الجميع به قال لهم انا ابن ملك الصحراء وسليل بيت الأماجد من آسادها جئت اليكم لادلي برأيي لقد قالت زعيمتكن ان حكم الاغلبية للاناث فيكم وما في ذلك شك وقالت ونحن أصل الحياة لهذه المملكة وما في ذلك ريب ولقد خطر لي خاطر سمعته من عالم الانسان . .

وهنا بكى الدجاج على نفسه حين سمع اسم الانسان فقال الثعلب المزيف رفقا بكن وبدموعكن فعسى ان يأتي اليوم الذي لاتجدن فيه الدموع ولا تفزعوا جميعا لذكر الانسان ففي ذلك الجنس من يحمل لكم ولكن الحب والعطف . كنت أقول إنى ذكرت حين استمعت الى حديث الاغلبية ان ابين لكن ياأيها الاناث مادام لكن الامر الآن ان ابين لكن خطأ الجنس البشري فيما ادعاه من يسمونه (أدلر) في نظريته التي يتهم الاناث بها ويسميها نظرية (الاحتجاج الذكري . .) اراكن لاتفهمن شيئا مما اقول سأشرح ذلك ، بعد هذا الانسان الوقح ان يقول ان التفاوت بين الذكر والانثى شيء طبيعي وهو يقول في تبجح لأأراه ان هذا التفاوت يجعل الانثى في جميع الكائنات ولا سيما مايسمونه المرأة عند الناس تحاول تغطية ماتعانيه في قرارة نفسها من ضعف طبيعي جميل وهذا رأي خاطيء في نظري ونظركن الذي هو الواقع ولهذا اوافقكن في اغلبيتكن فأجمعن امركن غدا على ذلك ولا تنسين ان تحضرن معكن بعض الديكة ولو اربعة حتى لايغضب الاسد .

ومرض الاسد او تمارض وترك لابنه لجنة التحكيم فحكمت بالتعويض عما فقدته مملكة الدجاج ببعض بيوت الثعالب وما تملكه تلك الأمة المعتدية من الجزء الشرقي والشمالي

المملكة الثعلبية وكان اول مرتزق ومصفق لهذا الحكم الدجاجة الخداجة ورفض الديكة هذا الحكم بعد الخروج من محكمة الثعل الذي اناب عنه واستأذنوا الاسد في الرحيل طالبين الحماية حتى يسلكوا الطريق خلف نهر الافاعي وسمح الاسد لهم بالهجرة كيف شاءوا وامنهم على حياتهم وكانوا اربعة ديوك اشداء ارتضوا لنفسهم الهجرة الى مهبطهم الامين ان كان قد بكت عليه السماء ...

وحين تنفس الفجر نفسه الاول خرج معهم الباقون من الديكة وكانوا ثلاثة فأصبحوا سبعة وتركهم حارسهم الى مفرق الامان من الطريق الشائك ولكنهم لاحظوا شبحا يعدو فأوقفوا الخطو وتبينوا الامر فاذا دجاجة كبيرة تعلو وتنخفض وهي تصيح ... قالوا لها لم ترتجفين ؟ فقالت لهم بلسان دموعها ودموع كلامها ... لقد نمت وانا افكر في الحرب لأحمي الجزيرة من العقم الأبدي وأطير معكم فرأيت فيما يرى النائم اليقظان ان هناك بحراً من الدم يسبح فيه الثعالب وهم يقتاتون من رؤوسنا ولحومنا فصحوت فرأيت واقع الحلم فقفزت من الكوة الضيقة المطلة على الغدير وأنا أرى بعيني رأسي وحشي الثعالب وهم يهجمون في غير رحمة على اخوتي حتى ماعلمت أأنا مذبوحة بدم اخوتي ام نابية بذكرى هذه الليلة الرهيبة . ولم تمض اعوام قليلة حتى كانت سهول الجزيرة الذهبية طافحة بالديكة والدجاج الذي تناسلته هذه الدجاجة التي هربت لتنقذ مملكتها ولتعيد اليها عرشها في ظل ملكها صاحب العرف الاحمر البديع والتاج المثرثب الجميل .

وكان في السهل فراشتان تتناجيان على زهرة من زهور الخلجان الارجوانية قالت احداهما للاخرى اوما تذكرين يا أختاه هذا السهل منذ اعوام حين اجدب المطر ؟ قالت اذكر انا غشيناه فلم نجد فيه زهرا ولا عطرا وأذكر ان اهله هجروا عنه ثم عادوا فقالت لها اولا تدرين كيف عادوا ؟ قالت لا بربك رب العطر والزهر والماء والسماء حدثيني عما كان حتى الآن؟!

وانطلقت الفراشة تقص على أختها النبأ العجيب حتى اتت الى قولها ولولا ذكرى ذلك التاج البديع لما انقذ الله الجزيرة العامرة بهروب الدجاجة التي عرفت سبيل النجاة والحياة فقالت اختها .. إن حديثك العذب قد اخذني فهيا هيا يا اختي العزيزة

مع الشيطان

قلت : هلا تركتني استريح ساعة بعد هذا الكفاح اليومي المستمر ؟ فان كنت تروم تزجية الفراغ وقتل الوقت فدونك ابطال الترثرة المنتشرين في زوايا البلد وفي المجالس العامة . اما انا فدعني وشأني رعاك الله.

فقال غاضباً : اترى ازورك انا الشيطان الاكبر لأنير لك مواقع خطاك ، فتطردني وكأنني غريب عنك ولست من صميم صلبي ؟! حقاً لقد فسد الزمان بما فيه من بشر وشياطين ! ولكني لن اترك لك الحبل على الغارب ، لتقودك اهواؤك المتلونة التي هي الى اهواء البشر اقرب منها الينا نحن الشياطين . فهل تظن ايها الفتى الارعن ان لك من القوة ما تستطيع بها ان تقف امامي وقفة الندالند ؟ !فقلت : ولكني ايها الاب الاكبر لم آت ما يجعلني غرضاً لنقمتك ووسيلة لتجربة قدرتك !

فصرخ كالرعد : يالأبالسة الجحيم ! لقد نالتك عدوى الكذب من هؤلاء البشر الملاعين ! لشدة ما يؤلمني ان تخيب تجربتي فيكم ايها الشبان ، ألا ترى — ايها الطائش — عمك وقد بلغ الخمسة آلاف سنه ، كيف يثير الحروب ويوقد الفتن باشارة من يده او غمزة من عينه ؟ وتأتي انت لتجابهني يا حقير عادة في البشر ، فتستر مروقك عن مبدئنا بالكذب والتمويه اننا حين اجزنا لك ان تكذب وتفتري وتموه ، ماشاءت لك هذه الوسائل الثلاث ؟ فانما للمكر بالانسان والقائه الى التهلكة ، فكيف جاز لك ان تستخدمها مع شيطان من الشياطين ؟ ان هذا لا يكون ولن اسمح لعواطف الابوة ان تقف بيني وبين القيام بواجبي كشيطان للمجموع عليه حق كما له على المجموع حق . فالعدالة الشيطانية فوق كل اعتبار !

فهالتني هذه النتيجة الوخيمة ، وحاولت اللحاق به ولكنني

— في هذا العدد — لم الحق ... (الشيطان الصغير)

تمتص رحيق هذه الازهار البعيدة فان اخشى ما أخشاه هذا الذي يسمونه الانسان ان يمر فيقطفها او يأخذنا ليضعنا للتشريع او الزينة .

وابتسم بيدبا واهتز رأس دبشليم ... ؟

القاهرة: عبد القادر محمود